

المحاسبة الإبداعية بين الإيجابية والسلبية ورأي مدقق الحسابات المستقل

هلا محمد مذير المالح

محاسب قانوني
ماجستير في إدارة الأعمال تخصص
مصارف إسلامية - سورية

لقد تعددت الكتابات و تنوعت الدراسات التي تناولت موضوع المحاسبة الإبداعية؛ فكان منها:

- ما ناقش مفهوم المحاسبة الإبداعية والمفاهيم القريبة منه،
- ما بحث في أسباب وتاريخ انتشار هذا المفهوم،
- ما درس تقنياتها، أو أساليب الحد منها،
- ما درس دورها في نشوء الأزمة العالمية،
- ما درس أثر استخدامها في إعداد التقارير المالية وصلاحيته ذلك،
- ما ركز على دور المدقق في التحقق من ممارساتها.

مفهوم المحاسبة الإبداعية:

تُشير المحاسبة الإبداعية لاستخدام المعرفة المحاسبية للتأثير على الأرقام الواردة في التقارير المالية، في حين تبقى ضمن اختصاص قواعد المحاسبة والقوانين، وبهذا تعكس الإدارة ما تريد أن تقوله لأصحاب المصلحة (Shah et al., 2011).

إنّ الأساليب المستخدمة في المحاسبة الإبداعية لها أشكالٌ متعددة ومعقدة إلى حدٍّ ما، وتحتاج لاستخدامها ولكشفها أصحاب اختصاص، فهي كما سماها (Bertolus) "فن تزوير الميزانية العمومية". وقد شرح (Yadav, 2013) أنّ المحاسبة الإبداعية تنعكس في المؤشرات المالية، وفي نهاية المطاف على ملاءة الشركة؛ فليس كل ما يبدو ربحاً هو في الحقيقة ربحٌ.

تطبيق المحاسبة الإبداعية بين السلبية والإيجابية:

إنَّ أوَّلَ ما يتبادرُ لعقلِ القارئِ عندَ ذِكرِ المحاسبةِ الإبداعيةِ هي أنَّها "فنُّ سلبيٌّ" ينطوي على (التلاعبِ، والخداعِ، وخيانةِ الأمانةِ)؛ وذلك لأنَّ ذِكرَها ارتبطَ بعددٍ من أسوأِ فضائحِ المحاسبةِ العالميةِ كـ (فضيحةِ إدارةِ النفقاتِ) في عام ١٩٩٨م التي أظهرتُ أرباحاً وهميةً للشركةِ مقدارُها ١.٧ مليار دولار من خلال (زيادةِ استهلاكِ المعداتِ والممتلكاتِ والآلاتِ في الميزانيةِ، وإفلاسِ شركةِ "إنرون" للخدماتِ والطاقةِ عام ٢٠٠١م التي خسرَ مساهمُوها ٧٤ مليار دولار، وفقدَ العديدُ من موظفيها وظائفهم، وخسرَ مساهمُوها حساباتِ تقاعدهم، بعد أن رفضتُ شركةُ داينجي المنافسةِ خطةً لإنقاذها بشرائها بمبلغ ٨.٤ مليار دولار؛ حيث قالت شركةُ "داينجي" في تسويقِ قرارِ سحبِ عرضِها: إنَّ "إنرون" لم تكشفْ عن مشكلاتِها الماليةِ كافةً والتي كُشِفَتْ بعد انهيارها، ومنها إخفاءُ القروضِ الضخمةِ التي حصلتْ عليها، وإخفاؤها معاملاتٍ مع أطرافٍ ذاتِ علاقةٍ، وتعتميمها على قيمِ المخزونِ، والجديرُ بالذكرِ أنَّ الفضيحتينِ اللتين وردَ ذِكرُهما آنفاً كان لِكُلِّ من (المديرين التنفيذيين، ولشركةِ التدقيقِ الخارجيةِ) "آرثر أندرسون" دورٌ لاعبٌ ورئيسٌ فيهما.

إضافةً لفضائحِ الاحتيالِ المحاسبيِّ التي تذكُرُ الباحثةُ منها: (فضيحةُ شركةِ AIG للتأمينِ) عام ٢٠٠٥م، و (فضيحةُ شركةِ الخدماتِ الماليةِ ليمان براذر) عام ٢٠٠٨م التي أُخفيتُ فيهما القروضُ بالإيراداتِ، و (قضيةُ شركةِ K-Mart لبيعِ التجزئة) التي قامتُ بالتلاعبِ في بعضِ سياساتها المحاسبيةِ لإظهارِ أرباحٍ ربعِ أوَّلِ بما يفوقُ ٣٠٪. مما هو عليه في الواقعِ؛ لتُخفي خبرَ تراجعِها من المركزِ الأوَّلِ إلى الثاني في بيعِ التجزئةِ في الولاياتِ المتحدةِ، إضافةً لما فعلته (شركةُ توشيبا) ٢٠١٥م التي قامتُ بتأجيلِ تسجيلِ بعضِ الأعباءِ وتلاعبتْ بـ "الاهتلاكِ"؛ لإظهارِ النتائجِ بأفضلِ مما هي عليه. وصدقَ رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ القائلُ: (المتصَّعُ بما ليسَ فيه كلابسُ ثوبي زورٍ).

إنَّ مُعظَمَ أسبابِ انهيارِ تلكِ الشركاتِ تتعلَّقُ بتلاعبِ الإدارةِ في تقاريرها الماليةِ؛ من خلالِ استخدامِها "بدائلَ محاسبيةً"؛ لتجميلِ المركزِ والأداءِ الماليِّ لديها -ورغمَ هذا كُلِّه-؛ إلا أنَّها استخدمتْ هذه البدائلَ بشكلٍ سلبيٍّ؛ لأنَّها سلاحٌ وُضِعَ بيدِ الشخصِ الخاطيءِ فقامَ بالعبثِ به؛ ممَّا سبَّبَ الكثيرَ من الضررِ، في حين لو أنَّه استخدمَ بشكلٍ صحيحٍ لكانَ له فائدةٌ كبيرةٌ هذا من جانبٍ. أما من جانبٍ آخرَ فما يرى أنَّ الكثيرَ من الشركاتِ استخدمتْ تقنياتِ المحاسبةِ الإبداعيةِ؛ لتبقى واقفةً على قدميها في الأوقاتِ الصعبةِ؛ من ذلك ما حصلَ في (صناعةِ الإسمنتِ) في "باكستان" التي عانت في التسعينياتِ من نقصِ حادٍّ في مادةِ الإسمنتِ؛ ممَّا حدا بالحكومةِ لإعلانِ العديدِ من الحوافزِ لشركاتِ الإسمنتِ الجديدةِ؛ فتمَّ إنشاءُ سبعةِ معاملٍ جديدةٍ (تُلبي حاجةَ البلادِ، وتوفِّرُ فائضاً للتصديرِ) للدولِ المجاورةِ، ويستغرقُ المعملُ 3 سنواتٍ لبدءِ الإنتاجِ، في هذه الأثناءِ تغيَّرَ وضعُ البلادِ الاقتصاديُّ، ولم يعدْ لدى الحكومةِ أموالٌ للتنميةِ، ودخلتِ البلادُ في حالةٍ من الركودِ، وتوقَّفَ البناءُ تقريباً؛ فبدأتْ أسعارُ الإسمنتِ بالهبوطِ، وأصبحتْ غيرَ مستقرَّةٍ؛ فحفَّضتْ الشركاتُ من الإنتاجِ إلى متوسطٍ قدره ٢٢٪ من الطاقةِ

الإنتاجية، وهنا توقّف هبوط الأسعار - لكن ذلك لم يُساعد الشركات كثيراً - فالدور الأكبر في التكاليف في شركات الإسمنت للتكاليف الثابتة التي تُشكّل ٧٢٪ من التكاليف السنوية؛ حيث تتكوّن هذه التكاليف من عنصرين هما: (الفائدة والإهلاك) وكلاهما ثابت، ويُحسب على أساس الوقت، وبالتالي واجهت الطاقة الإنتاجية المنخفضة تكاليف مرتفعة للطن الواحد من الإسمنت؛ مما أدى لحسائر فادحة، استخدمت الشركات لمواجهة ذلك إحدى طرق المحاسبة الإبداعية بتحويل الاستهلاك من تكلفة ثابتة إلى تكلفة متغيرة؛ فبدلاً من تقسيم تكلفة الاستهلاك على السنوات قسّمته على إجمالي الإسمنت المتوقع من المصنع إنتاجه خلال حياته كلها؛ وبالتالي فإن حساب تكلفة الاستهلاك لكل طن منتج من الإسمنت (قلص ذلك التكاليف، وزاد الأرباح)، وكان لذلك تداعياته على الضرائب.

إنّ مما يُثير الاهتمام أنّه عندما ارتفع الطلب، وبدأت الشركات تزيد من إنتاجها لم تكن بحاجة لتغيير السياسات المحاسبية لديها، واستطاع مديرو مصانع الإسمنت الخروج من الأزمة دون (احتيايل، أو إساءة أمانة) (Shah et al., 2011).

فالقول بأنّ المحاسبة الإبداعية ممكنة أن تكون سيئة لا يعني أنّها يجب أن تكون سيئة؛ فهي ككل شيء؛ إما أن تكون حسنة إذا ما أُحسن استخدامها، أو أن تكون سيئة إذا ما أُسيء استخدامها. قد تزيد الشركة سعر السهم، أو تحافظ على زيادته عن طريق (تخفيض الديون) مثلاً؛ وبالتالي تخفيض المخاطر، فإن كانت النيات لا تضر بأصحاب المصلحة فلا يمكن وصف المحاسبة الإبداعية في هذه الحالة بأنها غير أخلاقية.

إنّ تمسك المحاسبة الإبداعية بـ (الأخلاقيات، والقوانين، والمعايير، وحسن الاستخدام) يمكنها من تحقيق منافع للشركة والمساهمين، ويجعل منها محاسبية (ابتكارية، ومفيدة جداً).

المحاسبة الإبداعية في إعداد التقارير المالية ومسؤولية مدقق الحسابات الخارجي:

أظهرت نتائج دراسة (Tassadaq et al., 2015) تفاعلاً إيجابياً مهماً بين المتغيرات الثلاثة التالية:

(رأي المدقق، القيم الأخلاقية، والتنظيم/المعايير) في إعداد القوائم المالية.

إنّ رأي المدقق الخارجي المستقل الذي يقوم بعمله وفقاً لمعايير التدقيق الدولية يتطلّب منهما يلي:

* الالتزام بالمتطلبات الأخلاقية للتعبير عن رأيه لمستخدمي القوائم المالية فيما إذا كانت هذه القوائم والبيانات المالية خالية من الأخطاء الفادحة (والناجحة، أو الناجمة) عن غش أو عن خطأ.

* أن يجمع ويفحص الأدلة التي تؤيد (القيم، وعمليات الإفصاح) الواردة في القوائم المالية.

* أن يُركّز جهده في المجالات التي تحوي مخاطرَ كبيرةً للتحريفات؛ باستخدام تأكيداتٍ ليست مطلقةً؛ لكنّها تحتوي مستوى عالٍ من التأكيدِ حول دقّة البيانات المالية التي يُبدي رأيه حولها.

يُنَاقِشُ معيارُ التدقيقِ الدوليّ ٢٤٠ مسؤولية المدقّق في اعتبار الاحتيال عند تدقيق البيانات الماليّة بالتفصيل لمن أراد الاستزادة، أمّا ما يتعلّق بقواعد السلوك الأخلاقي للمحاسبين المهنيين فقد قُسمت لثلاثة أقسام:

الجزء (أ) ويحوي المبادئ الأساسية ألا وهي:

النزاهة	* أن يكون المدقّق (أميناً، وصادقاً) في العلاقات (المهنية، والتجارية) كافةً.
الموضوعية	* الحياد * وعدم التحيز * وعدم السماح بـ (تضارب المصالح، أو التأثير المفرط للآخرين)؛ لتجاوز الأحكام (المهنية، أو التجارية).
الكفاءة المهنية والعناية اللازمة	* يقع على المدقّق واجبٌ مستمرٌّ في المحافظة على (المعرفة، والمهارات) المهنية بالمستوى المطلوب ليُقدّم للعملاء خدمات مهنية مع الكفاءة.
السريّة	* ألا يُفصح عن معلومات عميله دون "حق أو واجب" (قانوني أو مهني) مُلزم.
السلوك المهني	* التزام المدقّق بالقوانين والأنظمة ذات الصلة.
	* تجنب أي عمل يسئ إلى سمعة المهنة.

الجزء (ب) ويحوي ما يتعلّق بالمحاسبين المهنيين في الممارسة العامة ومنها: (التعيين المهني، تضارب المصالح، الآراء الثانية، الأتعاب والأنواع الأخرى من الأجور، تسويق الخدمات المهنية، الهدايا والضيافة، الوصاية على أصول العملاء، الموضوعية، والاستقلالية).

ويحوي الجزء (ج) ما يتعلّق بالمحاسبين المهنيين في قطاع الأعمال ومنها: (التضارب المهني المحتمل، تحضير المعلومات وإعداد التقارير بها، العمل وفق خبرة كافية، المصالح المالية، والمغريات).

إنَّ الإسلامَ العَظيمَ يَنمَازُ بِتَقَدِيمِ العِصْرِ (الأخلاقِيّ الإنسانيّ) حاكِمًا في ميادينِ نشاطاتِ الحياةِ كافَّةً؛ فسلوكُ المسلمِ أيًّا كانَ عَمَلُهُ يَجِبُ أن يَتَسَمَّ بِالأخلاقِيَّةِ وليسَ بأخلاقِيَّةٍ مِهْنِيَّةٍ فحسب، ولا شكَّ أنَ المشكلَةَ الأخلاقِيَّةَ التي تَجتَاحُ العالَمَ تَقِفُ وِراءَ الأزماتِ العالَمِيَّةِ كافَّةً، وتَتَطَلَّبُ مِنَ العالَمِ وَضْعَ قِوَاعِدِ سَلكِ مِهْنِيٍّ لِكُلِّ مِهْنَةٍ؛ لِتَجنُبَ الأزماتِ التي يُسبِّبُها البُعدُ عَنِ القِيَمِ الأخلاقِيَّةِ الرِّبائِيَّةِ. بينما تُتَطلَقُ القِيَمُ الأخلاقِيَّةُ الإسلاميَّةُ الإنسانَ - أيًّا كانت مِهْنَتُهُ - مِن عِقالِ أنانيَّتِهِ وأطماعِهِ المادِيَّةِ العاجِلَةِ، وتَجعَلُهُ يَري الأُمُورَ وَيَجعَلُها في (مَسارَها القويمِ، وإطارَها الصَّحيحِ).

"لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ"

(صحيح البخاري ج ١ / كتاب الإيمان / باب: مِنَ الإيمانِ أن يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ / ح ١٣)

"من غشنا فليس منا"

(صحيح مسلم ج ١ / كتاب الإيمان / باب: قولِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا" / ح ١٠١)

المراجع

- International Ethics Standards Board for Accountants, "Handbook of Code of Ethics for Professional Accountants", IFAC, 2013
- Shah, syed zulfiqar ali, Butt, safdar, & Bin tariq, yasir, "Use or abuse of creative accounting techniques", International journal of trade, economics and finance, vol. 2, no. 6, December, pp. 531-536, 2011
- Tassadaq, fizza, & Malik, qaisar ali, "Creative accounting and financial reporting: Model development and empirical testing", International journal of economics and financial issues, vol. 5, issues 2, pp. 544-551, 2015
- Yadav, Brijesh, "Creative accounting: A literature review", The SIJ transactions on industrial financial & Business management (IFBM), vol. 1, no. 5, November-December, pp. 181-193, 2013